بريق الفيّلة

هل تشعرون أنَّ رمضان يأتي بالوقت الذي نحتاجه دومًا؟ يعني يأتي رمضان ونحن على شفا هاوية الأوضاع السّياسيّة السّيّئة، والأوضاع الاقتصادية الأسوأ، ناهيك عن الأوضاع الاجتماعية والأسريّة. يأتينا كأنّه المسيح المنتظر يأتي ليخرجنا من حال إلى حال، حتى لو كان الانتقال والتّغيير مؤقّتًا.

أتردّد كثيرًا في الكتابة عندما يحلّ شهر رمضان. أقول لنفسي إنّها فرصة بالنسبة لي لأخذ استراحة ومهلة كافية لاستعادة قواي وتجميع أفكاري من جديد، لكنني سرعان ما أمسك قلمي لأخطّ به بعض أفكاري وأحاسيسي، وما يدور بخلدي في شتّى المواضيع.

توصّلت إلى استنتاج أنَّ رمضان يكشفنا، يظهرنا على حقيقتنا أو حقيقة ما نريد أن نكون، ما نصبو اليه.

-اكتشفت أنَّ الصّيام ليس بالصّعوبة التي يحاول البعض أن يصفها. سيعتاد الجسم والعقل على الصّيام بعد عدة أيام قليلة إذا كانت القناعة موجودة بأنّنا يجب أن نصوم.

-اكتشفت أنّه من السّهل ترويض جسدنا وروحنا على أمور نراها مستعصية، في حياتنا اليومية.

-اكتشفت أنّ صلاة الفجر ليست بهذه الصّعوبة عندما يجد النّاس دافعًا لذلك، حيث يستيقظ الناس في وقت السّحور ويستغرقهم الأمر وقتًا أطول لتحضير الأكل والمائدة وما يحتاجونه من مستلزمات من مأكل ومشرب.

-اكتشفت أنّ الأمّهات، الأخوات، الخالات والعمّات موجودات كل أيام السّنة، فلا حاجة كي أنتظر شهر رمضان وعزومة رمضان لأتواصل معهنّ وأدعوهنّ إلى وليمة هنّ لسن بحاجة إليها، هنّ بحاجة إلى التّعاطف والمحبة والسّند والاهتمام، وهذا يتوفر لدينا يوميًا، ولا حاجة لشهر رمضان كي نقوم به. هنّ بحاجة للسؤال عنهن، والقلق عليهنّ، ومراعاة ظروفهنّ وجيلهنّ عند الكبر والشّيخوخة.

-اكتشفت أني أستطيع السّيطرة على نفسي في كلّ ما يخصّ الأكل والشّرب وأني أستطيع التّحكم في كلّ ما يضرّني من مأكولات دسمة ومضرّة، أني أستطيع أكل ما يحتاجه جسدي والاكتفاء بذلك، فالّذي استطاع الصّوم كل هذا الوقت يستطيع الامتناع عمّا يضرّه من أكل يوميًا.

- اكتشفت أنَّ النّوم الطّويل لا يساعدني في التّغلب على الجوع. وأنَّ العمل والحركة هما أهم من النّوم والخمول، والعمل والحركة ينشّطان الجسم ويحفّزانه. الانشغال والعمل يسرّعان من مرور الوقت وانقضاؤه.

-اكتشفت أنّ الشّيطان فعّال في كل أيام السّنة وفي كل الأوقات وحتّى في رمضان، بل أنه يزيد من نشاطه في هذا الشّهر الفضيل، فهذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور النّاس. فالأفكار تتسارع والأصوات تسمع صداها في كل لحظة "افطر، دعك من الصّوم، صومك جوع كلاب، لا ينفع الصّوم دون صلاة، دعك من ذلك" هذه الأصوات لا تتوقف لحظة.

-اكتشفت أني أستطيع إحكام رباط شياطيني بالعمل الصّالح والمعاملة الحسنة والقناعة بما أملك، وهكذا أستطيع اقصاؤه جانبًا.

-اكتشفت أنّ الفقر موجود كل أيام السّنة وفي كلّ الأماكن والبلدان، فالفقراء يعيشون بيننا ومنهم من نعرفه جيدًا، ومن أقرب المقربين إلينا. ها نحن نرى الخيام

وبجانبها القصور. أشخاص يأكلون من حاويات النفايات وأشخاص يأكلون بالمطاعم والفنادق الفاخرة. شيوخ بطونهم مليئة وكل سنة يذهبون إلى الحج في حين يطلبون من الفقير أن يصبر ويتبرع بما تجود به نفسه. فيتضح أنّ الفقر موجود وسيظل موجودًا طالما لا نراه إلّا في شهر رمضان.

-اكتشفت نتيجة للجوع في شهر رمضان أنَّ الهزّات الأرضيّة تتوالى علينا، لانعدام التوازن في الأرض، الأرض لم تعد تتحمل الظّلم والكذب لذلك نراها تهتز. لأنّ غضبها على وساخة البشر (شكله بدأت اهلوس من تأثير الجوع).

-اكتشفت أنّ الإقلاع عن التّدخين نهائيًا ممكن ومتاح وأنّه ليس بالصّعوبة التي نتصورها. اكتشفت أنّ رمضان فرصة للإقلاع عنه وعن كل العادات الكريهة، مجرّد علينا أن نحاول أكثر.

-اكتشفت أنني قد أكلت كثيرًا بالأمس حتى اتغلب على الجوع في اليوم الأول من رمضان، هل سمعتم بيوم الفجعة؟ أعترف أنها تسمية رهيبة ففي هذا اليوم يحتفل الكثيرون بقدوم شهر الصوم، وذلك من خلال المبالغة في الأكل. الفجعة بالعاميّة تعني الشراهة، والفجعان هو النهم فيتحول مَن ينوون الصّيام إلى شرهين يأكلون بلا حسبان مأكولات دسمة ثقيلة غالبًا. ظنًّا منهم أنهم بذلك سوف يقدرون على تحمّل الجوع في شهر رمضان.

آمل أنكم قد "انفجعتم" بالأمس حتى تتحمّلوا صيام الشّهر.

دعونا ننهي حديثنا هذه المرّة بعبرة..

جلس الإمام مالك في المسجد النبوي كعادته يروي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطّلاب حوله يستمعون..

فصاح رجل: جاء للمدينة فيل عظيم!

فهرع الطّلبة كلهم ليشاهدوا الفيل وتركوا الإمام مالك، إلّا يحيى بن يحيى الليثي بقي جالسًا!

فقال له الإمام مالك: لِمَ لَمْ تخرج معهم؟

قال يحيى: إنَّما قدمت المدينة لأرى مالكًا، لا لأرى الفيل.

وفي زماننا هذا يتكرر الفيل، ولكن بصور مختلفة، وطرائق شتَّى، وخصوصًا في رمضان!!

فالنّاس في رمضان صنفان:

-صنف قد حدَّد هدفه، فهو يعلم ماذا يريد من رمضان، وما هي الثّمرة التي يرجو تحصيلها!

-وصنف آخر غافل عنه، مفرِّط، تستهويه أنواع الفيلة المختلفة:

فالقنوات الفضائية، والمسلسلات، والأفلام، والسّهرات، والأغاني، وأنواع المحرمات هي فيلة هذا الزمان.

فالحذر الحذر من الفِيَلة وبريقها فإنها ستسلب منك أفضل أوقات العام.

دمتم بكل خير

أ.أيمن جبارة